ثُلاثِيَّة إِنسَان

فكرة وإشراف:
منال أيمن أبو زينة

كتاب مشترك

2021

ثلاثية إنسان

إهداء:

إلى الإنسانية جمعاء ، لكل من يخوض نزالا على هذه الدنيا ويتلعثم بقدره. إبتغينا إيصال رسالة محتواها لاتسأل البحر الأسود لماذا تبدو هكذا ولاتطلب منه أن يكون بغير لون ، عاشره كما هو لعل فيه فضل وجدوى.

تصميم الغلاف:
رباب الدوح

مُقدِّمة:

هُنا نصوصٌ تختلف طولًا وقصرًا عمقًا وضحول، كتبت في أوقات متفاوتة وظروفٍ وأحوال لا تعلم بها، ربما تنفعك في وقت فراغك، أو عندما تصل إلى مضيق الدنيا وتُنبش عن نور أملٍ ولو مقدار ثقب إبرة، لا أزعم أنها ستحدث صخبًا فكريًا شاسعًا في أرجاء المواقع والمجلّات لكن أؤمن أنَّها كتبت بطريقة تلامس مشاعرك وتسلبك نحو العيش فيها، لا تضحي بأي جزءًا منه وتجتازه فستفوت الكثير ..

أقدّم الشكر الجزيل والامتنان لكل من عانته يداه على إنجاز هذا العمل وكل من وضع بصمة نيّرة في سبيل العون على إيصال رسالة هذا الكتاب.

الفهرس

اسم الكاتبة	عنوان النّص
لجين عايش مقدادي	لربما حياة.
رباب الدوح	مراحل تشكل الإنسان.
آسيا سلامة الشباطات	صاحبة أسوء حظ بالعالم.
فاطمة بسام بيطار	انعكاس ثُلاثي.
منال أيمن أبو زينة	سلسلة بشرية.
أفنان أبو سنينة	كيان إنساني.
خلود عبد الصمد أحمد	حياة العبير.
حنين رائد أبو شعيب	حياة مغايرة الغموض.
صفاء مفلح المشارفة	صفحات تطوى.
شهد سعيفان	ها نحن.
غصون باسم	باقي فتات.
تقى الخوالدة	ومضات حياة.
تسنيم أيمن خليل	اختمار عمر غيمة.
شادن مؤيد الجيتاوي	ثمن الحياة حياة.

رُبما حياة

ربما تصدف أن يكون هنالك حياة ولكن لا يوجد حياة، كيف؟

كالمعتاد ستشرق شمسًا واحدة كل يوم في كل صباح وستزقزق العصافير بأعلى صوت، هذا في كل صباح لكل يوم ثُمَّ هدوء العصر وبعدها أصوات صراصير الليل تغطو مسامعنا إلى النوم المعتاد إلى الأبد.

حياتنا واحدة بقوات لا نتحكم بها .

سيحكى مستقبلاً أنك كنت طفلاً أي كل ما بِك سيبقى معك إلى الأبد، ستتذكر وسيصبح ماضٍ، ستعيش حياة نقية بصفاء نية، وبقلب أبيض ليس بمخدوش ولا مُنكسر، ستصنع أو صنعت طفولةً بهية.

ستكبر وستبدأ أحلامك تتحقق، وستصنع أيامك من اللاشيء، ستجد نفسك إنسان وستبدأ رويدًا بالتعرف على نفسك، والتعرف على من حولك وتكوين علاقات، وستمر الأيام إما بضرر أو فرح، وبهذا العمر ستجد الكثير وستلقي القليل، فكُن خفيف على نفسك أولاً ثم على من حولك ثانيًا لتعيش.

أما عند اقتراب انتهاء العمر إما ستبكي على ماضيك أو تبتسم للقادم، سترى الكثير وتلتزم الصمت؛ لإنَّ كلمتك تصنع وتبني أجيالًا قادمة.

أيها العجوز أكمل بقية حياتك دون ضرر.

بقلم الكاتبة: لجين عايش مقدادي – الأردن .

مراحل تشكل الإنسان

نولد أشخاصًا أبرياء لا نعلم مصير مستقبلنا المجهول، نكبر يوما بعد يوم، وفي كل مرة يزداد الخوف من القادم المجهول، فهل هذا المجهول الغامض يستحق كل هذا التفكير والاهتمام به؟

تبدأ الصفحات بتدوين أحداثنا من يوم ولادتنا في العيادة، ومع أول صرخة لنا تدق أجراس الانطلاق، ها هي ذي الحياة ابدأ بالعيش.

والإنسان خلقه الله وأبدع في خلقه، فخلقه في تدرج عمري مميز، بدءًا من الطفولة والبراءة مرورًا بالمراهقة والشباب وصولًا للشيخوخة.

في الأعوام القليلة الأولى التي تحياها لربما قد تكون أجمل وأسعد أيام حياتك، طفل رضيع لا يفقه شيئاً عن محيطه ولا مكان وجوده سوا أنّه يأكل ويشرب وينام، يبدأ بالنمو حتى يصبح طفلاً حينها يستوعب ما حوله وأين هو، يبدأ بالتعرف على ما حوله من أشخاص وأشياء وأحداث وظواهر، ويبدأ بالتحدث والتفاعل معها، فهنيئًا لمن عاش طفولة وردية مزهرة ينشرح الصدر عند ذكرها وتذكرها.

لكن!

ما أتعس من عاش طفولة مثل الشيخوخة، ما أتعس من عاش طفولة محرومة منبوذة ومظلومة، من عاش في بيئة وأسرة وعائلة كلها مشبعة بأفكار مشبعة صنعها مجتمع متخلف وذو عقلية منغلقة ومحدودة، أن تعيش مرحلة طفولتك كلها توبيخ وضرب وإهانة وتمييز وتفريق، تنمو في جو الاحتقار والغضب ما يجعلك دائماً طفلاً خائفاً ومرتكباً يخشى من الناس ومن أي شيء وأيٍّ كان سواء ردة فعل أو حكم.

ما يجعل الطفل ينشأ تنشئة معقدة مشبكة وسيئة نوعاً ما، فتتكون لديه عاجلاً أو آجلاً عقدًا متعددة، أولها: النفسية وهو في هذه الحالة معرض لأي نوع من أنواع العقد النفسية، وفإما يكون ذو شخصية سيئة أو ذو شخصية خائفة وغير واثق من نفسه.

وثانيها: اجتماعية حيث تتكون لديه فكرة وحقد على المجتمع وعن الأشخاص بأنهم سيئين جدًا وجب عليه الابتعاد عنهم قدر الإمكان فيما فيهم عائلته وأسرته طبعًا. وأن تعيش في عائلة تمجد التمييز وتقدس الظلم وترفض إبداء الرأي إن كان يخالفهم وعاداتهم وتقاليدهم، فهم يعتبرونها أشياء مقدّسة وصحيحة بلا نقاش، ولكنهم وفي الأخير ينكرون كل هذا.
وثالثها: صحية، فهو بالكاد يصارع تفكيره ووخزات قلبه، ولاسيما أنه برعوم لين يسهل أن يتأذى من أبسط الأشياء فما بالك بأشياء أكبر منه. والكثير الكثير من النواحي .... فما أبشعه.

يعيش الطفل طفولة سوداوية وتعيسة، فتتبلور في ذاكرته فكرة عن الحياة والمجتمع انطلاقًا من كل هذا، وينشأ طفلاً جديدًا مكبوتًا حزينًا حد التعاسة ناقمًا على حياته وعلى كل مايوجد بها كيفما كان، والحلول السيئة البشعة واضحة أمامه ومخفية عن من حوله.

بالتالي وجب الخروج من كل هذا بخلاصة مهمة جدًا جدًا مفادها: إنَّ الطفل بُرْعُم صغير لين مازال في طور التنشئة يلزم العناية به وتربيته بطريقة صحيحة سليمة، وفي جو من المحبة والراحة والأخلاق والاحترام، لكي ينشأ لدينا طفل ذو مقومات وحظوظ عالية في كل مجالات الحياة. فكما لا يخفى علينا أنَّ الطفل في سنواته السبع الأولى يبدأ بالتعلم والتقليد خاصة الآباء، حيث يبدأ بتقليدهم في أفعالهم وتصرفاتهم وكل شيء، إذن فهي مرحلة حساسة جدًا يلزم التعامل معها بعناية وحرص شديدين، فالطفل حينها لا يعرف أي شيء وليست لديه أية فكرة فهو في مرحلة البراءة وتكوين الجذور، إذن فالاعتقادات والمبادئ تبدأ بالتشكل عنده انطلاقًا مما ذكر آنفًا.

لكنه لا يستطيع التمييز بين الجيد وغير الجيد هو فقط كأداة محاكاة لا غير، لذا يجب على الوالدين الانتباه لتصرفاتهم وأفعالهم أمام أطفالهم.

يبدأ الطفل بالعيش والتصرف كما تعلم من والديه، بعدها يبدأ بالتعرف على الصحيح من الغلط، ولكن سيبقى دائمًا تحت تأثير ما علمه وماتعلمه من والديه. حتى يصل لسنوات المراهقة، وهذه المرحلة مقسمة إلى ثلاث أقسام: مرحلة مبكرة والتي تكون من 12 سنة ل15 سنة، و مرحلة متوسطة من 15 ل18 سنة، ومرحلة متأخرة من18 ل21. هذه المراحل وهي التي تقابل المراحل الدراسية التالية: المرحلة المتوسطة، والثانوية، نهايةً بالجامعية، وهي أصعب المراحل حيث يبدأ الشخص بالتمهيد لدخول مرحلة البلوغ و الشباب، فيبدأ بتعلم اتخاذ القرارات واتخاذ المسؤولية.

فنلاحظ أنَّ مرحلة المراهقة مرحلة حساسة جداً. بالنسبة للمراهق حيث أنه يعاني من التقلبات والتغيرات وعدم الاستقرار سواء الميول في الهوايات والملابس والمزاج وغيرها ..

ويلحقها كذلك التغيير في النمو الجسمي والجنسي والنمو العقلي والمعرفي، النمو الديني والأخلاقي،.... إلخ، فيدخل في مرحلة الرشد، ويعتبر العبور من مرحلة المراهقة لمرحلة الرشد الاهتمام والرعاية، وكذلك الإرشاد والنصح وهذا يتوجب على الأبوين بالدرجة الأولى فهم من يكونون أقرب الأشخاص الناضجين والواعيين له. والتركيز الأهم على أخلاقيات القرآن؛ لأنّه الطريق الصحيح والمستقيم.

إذن نتوصل إلى أن المراهقين يحتاجون في هذه المرحلة المهمة الحساسة إلى الحرص والاهتمام والمساعدة من طرف آبائهم وأولياء أمورهم، ومن ناحية أخرى وجب على أي مراهق وأي شخص الرجوع لله والتقرب منه، والقرآن لمعرفة الصواب وللابتعاد عن المحرمات المختلفة والتي تقدم إلى المراهقين بطريقة مظللة ومزيفة على طبق من ذهب.

ولا ننسى أن للكلمات التي نخرجها من أفواهنا ويلتقطها الأشخاص لها تأثير قوي، فبكلمة تستطيع أن تحيي وبكلمة تستطيع أن تميت، فما بالك بمراهق!

لذا يجب تجنب قدر الإمكان الرد القاسي و التجريح و الاستهزاء.

والحرص على إعطاءه الوقت لإبداء رأيه وعدم القمع. وكي لا أنسى ذكر أهم شيء وهو خاص بالآباء ألا وهو التعامل مع المراهق في هذه المرحلة كأنه طفل، رغم تهوراته وزلاته وتصرفاته الخاطئة الطائشة.

أيها الأب وأيتها الأم، أبناءك أمانة في رقبتك، وأنت المسؤول عنهم، واحرص على أن تكون أنت الصديق المقرب لهم، وأنت أول شخص يلجؤون له، (لا غيرك وإلا فالنتيجة حينها ستكون كارثية)

بعد العبور من مجموعات من التغيرات المختلفة ومن كل النواحي كما ذكرنا قبل قليل، وسلوك الطريق من الطفولة والمراهقة، ويصل لمرحلة الشباب، هنا يكون قد تكون شاب متين الخلق، قوي الجسم، واعي ومثقف، قادر على التصرف واتخاذ القرارات في كل مناحي الحياة. وهنا ينتقل من تحمل آباءه لمسؤوليته إلى تولي مسؤولية نفسه بنفسه، متوكل على الله والحرص على إرضائه بالعمل بأوامره وتجنب نواهيه، يحدد أهدافه ويسعى لتحقيقها، يعرف كيف ينظم وقته وفيما يقضيه، مساعد لمن يحتاج المساعدة والعون.

مرحلة الشيخوخة مثلها مثل باقي المراحل العمرية في حياة الإنسان، فحينما يمر الإنسان من مرحلة الطفولة والمراهقة والشباب يصل إلى الشيخوخة، وهي المرحلة التي يعمل فيها الجسم بأقل كفاءة كما أن الشخص في هذه المرحلة يتعرض لتدهور في الوظائف الفيزيولوجية، ما يجعل الأمراض سهلة لاقتحامه.

ولهذا السبب ما نسمع دائمًا من الكبار جملاً يكررونها على مسامعنا كالتالي: اشتغل فيما ينفعك في شيخوختك فحين تكبر ستصبح عاجزًا عن فعل ذلك تماماً...، لا تضيع وقتك فيما لا يفيد وفيما لا يرضي الله...، والكثير من الجُمل والمواعظ كهذه، إذن فهم لا يقلون لك ذلك لسماعه فقط أو لسلب سعادة شبابك منك، بل من العكس من ذلك تمامًا، فاستمع لهم وخذ أي نصيحة يعطونها لك. واشكرهم على ذلك وادعوا لهم في صلواتك.

قلنا أنه يصبح جسم الإنسان ضعيف وهرم الجسم خلال الشيخوخة، ولكن لا تنسى أنه في مقابل كل هذا فإن روح الأشخاص الذين دخلوا مرحلة الشيخوخة يملكون قوة وحكمة، فقد أصبحوا ناضجين كلياً، ولكن لا نغفل على أن بعض الأشخاص في الشيخوخة العقل عندهم ليس بعقل!

(فقدان الذاكرة الخرف،...).

إذن نصل إلى أن مرحلة الشيخوخة ماهي إلا نتاج عن مرحلة الشباب من كل النواحي، سواء الصحة (وللحفاظ عليها لمدة أطول يجب الانتباه إليها ولما نأكل ونشرب، بالحرص على أكل وشرب كل ما هو صحي وتجنب ما هو مضر، وممارسة الرياضة) أو العقل (بالابتعاد عن العصبية والتوتر والقلق) أو الجانب الديني (بالابتعاد عن ما يغضب الله والتقرب لما يحب، وتجنب نواهيه والعمل بأوامره، بالابتعاد عن الحرام) ... إلخ.

بقلم الكاتبة: رباب الدوح – المغرب.

صاحِبةُ أسوَءَ حظٍ في العالم

الكثيرُ مِنَ الحظ السيء ليرقة بعُمر العاشرة، إنَّني لأصنَّف بـ صاحبة أسوء حظٍّ بالعالم، وبعامي الجديد شعرتُ أنَّني خلقتُ مرَةً أخرى، إلى حين أنَّني قد وعيتُ على نفسي وأدركتُ أنَّني قد كبرت. وبدأت أفهم مايدور حولي، وطوالَ السنين العشر لم أكون سوى طفلة همها الوحيد رعاية دميتها المُهترئة، ويا حبَّذا لو كنت عوضًا عن الدمية، أقلُّها لم أرى كل هذا الظلم والعذاب، والكثيرُ الكثير من الضرب والعنف والإحباط، وما ذنب طفلة أن تعيش حياة كهذه، وهي لم تعي الحياة بعد؟!

أليسَ من حقّي أن أعيش بين عائلة تقدرني، وتحتويني، وتأمن لي حقوقي، ومتطلباتي كباقي الأطفال؟!

كلام طفلة مثلي لا يعني شيء بالنسبة لأفراد أسرتي، وهذا كان سبب لكرهي لهم، فهم يظنون أنَّني مجرد فتاة صغيرة لا تعي ماتقول، وأنا كان حلمي أن أكون كذلك. 18 عَشَرَ عامًا من الكِتمان ألم يحن الوقتُ بعد كي أتحرر من الأغلال؟!

ها أنا أصبحتُ بعمر الفراشات، إذن فالأترك أجنحتي تختار مسارها الصحيح، ولتكُن أحلامي هي من ترفعني عن سطح أرضكم، وعاصفة أفكاري هي من تحركني، ولينقّى عقلي من كلّ ما هو سيء.

أريد ..

أُريد الطيران فقط.

الطيران .. الطيران بعالم أحلامي، أفكاري، وحياتي، نَعَم ها هي التي أريد حياتي الحالية ليست سوى حياة للظالمين في ما مضى، لهذا بدأت العمل بجد، وسلاح عملي كان الدّراسة، وكما قال الحكماء القدامى:

"من طَلَبَ العُلا سهُر الليالي". فأنا قد سهرتُ حتى أحيطت عيناي بالسَّواد، وصفرَّت وجنتاي، أصبحتُ ذات وجه عابس، يكسوه السواد والبهتان، رُبَّما لفلة نومي وطعامي، اصبح كلّ شيء أقوم به: الدّراسة، الصلاة، وشرب فناجين القهوة، والقليل من النوم، حتى أتى اليوم المنتظر، وهو يوم الحصاد وفي نظري هو يوم لمنتى، ويومي الشخصي، حان وقت حصاد ما زرعته بيداي وجسدي بأكمله، كان أفضل يومٍ يمر منذُ 18 عشرَ عامًا، والله من شدة الفرحة التي احتلت جدران قلبي نسيت كل تعب وإرهاق، وعتمة أيامي، فكيف لا أفرح وقد أصبحت أُلقب بـ"الدكتورة غادة"؟

والآن بعامي ال26 أصبحت أسعد إنسانة بهذه الحياة، فقد وجدن ضالتي، ومن سيشاركني باقي الحياة بـ أحزانها وأفراحها سيكون أعظم الأشخاص بناظري. ولتكن حياتكم جميلة هنية لا ترون منها سوى ما يُرضيكم.

أقوى إنسانة في العالم ..

أمَّا عني الآن ..

قد أصبحتُ بيضاء بالكامل، بقلبي وروحي وشعري، ولا زلتُ أحمل الكثير من الذكريات الجميلة، الممزوجة بالقليل مِنَ الحُزنِ، رغم ذلك هاهي قوتي تظغي على أحزاني، فحاربتها واقتلعتها من داخلي، وباتت لا تخرج سوى يأسي. إنَّ محور أمنياتي كان أن لا يشيب قلبي وأنا في زهرة شبابي، فاليكُن كلّ شيء بأوانه، وها هو الزمن أتى بوقته المنتظر، شابَ وجهي، وقلبي، وشعري، وكلّي، وهاقد تآكل جسدي أيضًا، ونقصت طاقتي، مع ذلك لا أمانع بأن أُلقب ب " أقوى إنسانة في العالم".

بقلم الكاتبة: آسيا سلامه الشباطات.

انعكاس ثلاثي.

الجلوس أمام المرآة في كثير من الأوقات يفتح لنا آفاق الذّاكرة المكتظة بالمواقف والآثار المدموغة بشمع الأيام.

طفولة بيضاء ..

مرآتي الأولى: كيفَ حالكِ أيَّتُها الفتاة المشاكسة؟ وقفت مذهولة، من هذه التي تقف في مرآتي سألت مستنكرةً شكلي الطفولي؟!

- هذهِ أنتِ عندما كنتِ في الثامنة من عمرك، ألا تتذكرين عندما كنتِ تسرحين شعركِ الحريري أمامي، وحينَما تأتي والدتك، تهربين مسرعة لإخفاء ذلك المقص الأسود الذي يشبه عتمة سواد شعركِ المتلألئ، وتمسكِ متلبسة، وتنبهكِ بعدم العبث بالمقص مرة أخرى؛ لأنّك ستتلفين شعركِ بهذه الطريقة. ألم تتذكري تلكَ الزاوية الواقعة أسفل النّافذة، حينما كنتِ تمسكين قلمك وتبدأين بالكتابة الغير مفهومة، وحين يقرأها أخاكِ يسخر منك وتجهشين بالبكاء مسرعةً وتصرخين في وجههِ وتخبريه بأنّك ستصبحين كاتبة! أبهذه السرعة خانتك ذاكرتك وأنستكِ المرّة الأولى التي وضعتِ فيها المساحيق، واختبأتي لكي لا توبخك أختك؛ ففي حينها أتلفتي أحمر الشفاه خاصتها، وعندما قمت بإخباء الآلة الحاسبة التي تخصها وعطلتِ عليها دراستها، وكل هذه المراوغات تجاهها كانت بسبب عدم قبولها الخروج واللعب خارجًا. أنا ماضيكِ وطفولتكِ ووقفاتكِ وبكائكِ الأول، لا يحقّ لكِ نسياني.

مرآتي الثانية: أيا جميلة الوجه والعينين لماذا كنتِ تبكين ليلة البارحة؟

- فركتُ عيناي متعجبة، من هذه المتحدّثة؟ أنا أنتِ، ألا تعرفيني؟

- لا، من تكوني؟

- أنا انعكاسك الدّاخلي والخارجي، أنا شمعتك المنيرة والمطفأة، أنا جروح قلبك، وخذلان نفسك، وآلام جسدكِ. أنا من تقفين وتوبخينني عند كل خطأ تقترفينه، أنا حاملة ذاكرتكِ وذكرياتكِ، أنا من تتغزّل عيناكِ أمامي بكِ وبنجاحاتكِ وآمالكِ حتى عثراتكِ التي في بعضها تكونين شغوفة أنّكِ خضتي شرف المحاولة فقط.

أيا أنا وأنتِ كلانا واحدٌ نختلفُ فقط بالمسمّيات، أنتِ باسمك المعروف، وأنا بكل الأسماء الواصفة والشّاملة والوافية الموصوفة أنتِ بها. دعيني من التعريف الطويل هذا، قولي لي: أمازلتِ أيّتها الحالمة الشامخة تصرين على ما تريدين؟ مازال قلبك يقاوم اختياراته المحبطة؟ وعقلكِ ينضج قبل أوانه؟ علميني بحكاياتك المخطوطة بحبر قلمك أتلقى استحسان الغير؟ فضولي متشوقٌ لسماع إنجازات أحلام الطفولة، ها أنتِ بداتِ بالابتسامة الخفية كعادتكِ، وأعلم أنّك ستدسين أجوبة لاستفهاماتي في أوقاتٍ غير منظّمة وغير محسوبة كعادتك، أعلم أعلم ستنفجرين كقنبلة موقوتة حين يخيب ظنّك بشيء كنتِ تتوقعينه سيكون كما أنتِ تريدين، هكذا أنتِ لا تتبدّلين رغم مرور أثني عشر عامًا لكنّك ثابتة في مواقفك، وطبيعتك، وردات فعلك، ها أنا أنتظر هذا اليوم بفارغ الصبر يا حلوتي السمراء، تذكري دومًا أنّكِ شامخة، متألقة، قوية، حنون، وحادّة في ذات الوقت، لا تنسي هذا الشيء، أنتِ تستحقين الأفضل دومًا وبإذن الله.

مرآتي الثالثة: أيا عُكّازة الأحلام إلى أين وصلتِ، وماذا أنهيتِ؟ وعن ماذا أنتِ راضية؟

لقد بُحَّ صوتك، وضعف نظرك، وقلّة حيلة تحملك، إلى ماذا تنظرين بعدَ كلّ هذا العمر؟ أرى عيناكِ ببريقها الحاد كما عهدتكِ مُنذ الطفولة، ماذا تنتظرين؟ ألم تنهي جميع أحلامك وآمالك؟ ألم تحققي كل ما بجعبتكِ من تحديات وإصرار؟ مازالت أحلامك تتجدد إلى الآن؟ وقلبك الحالم يضخ دم الحياة، وروحكِ رغم الشيخوخة تتلوّن بألوان الصِبا.

أيا فتاة الحياة هل ما زلت ترددين في كلّ سجودكِ ذات الدّعاء؟ "اللّهم تمتني وأنتَ راضٍ عنّي، اللَّهمّ إنْ كانَ خيرًا فقرّبه، وإنْ كانَ شرًا فاجعل بهِ الخير وقرّبه"،رغم معرفتكِ المؤكدة أنَّ معظم أمور حياتك كادت تهلككِ بسبب سعيكِ لها، مع ذلك تدعين ربّك بهذا الدّعاء، كم الله رحيمٌ بكِ حين يبعد الشر عنك رغم إلحاحكِ للوصول إليه.

أيا صاحبة الوجه المخطوط بخطوط الزمان لله درك في كل مراحيل حياتكِ، لله روحك، وقلبك، وطموحك، لله كل ما تتمنين وتودين.

بقلم الكاتبة: فاطمة بشار بيطار – سوريا.

سلسلة بشرية

طليعة منكوده ..

لم يتسنى لي معرفة نفسي عن قربٍ فيما مضى، ولم تكن ذكرياتي بالشكل الذي أرغ ، ولطالما كان هذا سببًا لإسفافي الدائم في كل مرة تختلي بي، لكن أظن أنّ هذه المرّة لا إدبار منها ولا مناص، فلقد كبَّلتُ عقلي ومسدت لساني وأضمرت عيناي لشهورٍ عدّة، بعدما تعرضتُ لحادث أفقدني الوعي كليًّا.

للوهلةِ الأولى ظننت أنّ بني البشر قد فَنِيَّ ولم يبقى سواي، أركن في خلاءٍ رحيب، وأعيش الصِبَا من جديد، حيثُ أنَّني خليلُ العقد الأول من العمر، ذو الملامح البريئة صغير بحجمي ذكي بفعلي، أيفعتُ بكنف كوخ أغر يحتوي عائلتي الصغيرة، قريني المشاحنة التي تنتهي بحب دوماً. بعد ردع جرس انتهاء اليوم الدّراسي، وأثناء إيابي للبيت أهرع دوماً لحقول الذرة الذهبية، وأفترش جزءًا منها لأفرّغ عقلي قليلًا. ويحثني نداء الأصدقاء على النهوض و الإسراع نحو ملعبنا الذي أقمناه بأنفسنا، ويطوف النّهار بنا لينتهي بوعيد السحب لنا بوابل من المطر، تنهزم أقدامنا إلى بيوتنا على الفور، انحدرت للدّاخل حيثُ المدفأة والقدح الساخن، كم كانت تشعرني تلك التفاصيل بالأمان، لكن لم تنتهي تلك الليلة بأمان كما اعتدت، فأبي لم يَعُد بَعد وأمّي تناظر النافذة تنتظر غائبها، وتنحب بصمت لعلَّ صوتها الخفي يجلبه لها، فلقد كان أبي كاسب في طاحونة القمح في نهاية البلدة القديمة يطحن كل قمحة بعرق جبينه وكامل قوته ليوفر قوت يومنا، دنوت من أمي أسألها عن حالها رغم إحساسي بما تشعر، وعن سبب تأخر أبي، اغرورقت عيناها ثم أجابتني : إنّه قادم يا حملي لا تقلق، كنت أشعر أن هناك خطب ما، مضت بضع ساعات لم يأتي كعادته بل أتى على هيئة خبر شفوي مؤسف حاولت أذناي صد ما سمعت لكن زجر صوت العامل بأعماقي مرارًا وتكرارًا، عطل

فني أدّى إلى تماس كهربائي أودى بحياة الكثيرين وبينهم أبي. إنّها ليلة ماحلة شرسة، طاغية في العجز والنشيج .

نُسلت الأيام وشقت لنا طريقًا غير الذي اعتدنا عليه، تنحيت عن المدرسة تاركًا مقعدي دافئًا معالم طفولتي همًّا مني لقيادة مسيرة رجل ناشئ بادرت بالعمل كنجار في شفا البلدة اتضح أنّ ملامحي بهتت ووهن بدني وأغبر وجهي فساعات العمل لم تكن سهلة على فتى لم يكمل العاشرة من عمره لكنني مجبر فأنا المسؤول عن أمي التي استحوذ المرض جسدها.

فلم تتوقف الأمور عند هذا الحد، إنّها البداية فقط .

مُقتبل الطريق ..

مرحباً، أتذكرني؟ لقد واكبتك في أول وجهتي ، سأكمل ما بقي منقوص.

بعد ثمانية شهور وبضعة أيام، ما زلت ألزم سريري حيث بدأت أستأنس بما يجول حولي لكنني مؤصد الحواس والحركة، يرمقني ما تبقى وسلف

و يعذلني عما خصصته لي الدنيا .

تماكرت الأيام الضيقة على عنقي و سكبت كل ما لذَّ وطاب لها في صدري، كانت تتغذى على ابتئاسي وجزعي، تترنم وترقص على أعتاب كدري وتعاستي، فأنا قرينُ بختٍ استثنائيٍ شنيع. كان من المقرر أن أكون ببن أقراني منغمساً بأحاديثنا التواقين لها دوماً دون كلل أو ملل، ونغذُ في سيرنا إلى مباراة ما بعد الظهيرة، فالفوز بها له مذاقٌ مستطاب، لكنه القدر شاء وأبى أن أحدق بتلك الصورة الظليلة وأجذُ جذع الشجرة بكل استحكام، وكأنني أقتص شطراً من دنيا كعوضٍ عما اختلسته مني .

في منتهى النهار، أدلف للبيت لأطمئن على أمي فهي أيضاً أذعنت للمرض الذي هشَّمَ جوفها، أُعد الحساء الذي واظب على الجلوس في أطباقنا أطعم أمي وأعاونها وأجلب ما تبتغي من عقاقيرها وتنام ، أما أنا ترفدني ساقاي إلى غرفتي محملاً بأطنان طوية، يربت النوم على كتفي يدفعني لرقود في سبات عميق.

وتتوالى الأيام مكرورةً وأنا على إثرها أستقي من وهني القوة، ومن مكابدتي اصطبر لعل الفرج يحويني ربما في الدقيقة القادمة أو الساعة الآتية لا يهم فأنا أمكثُ هنا بانتظار، محاولاً الهيمنة على نفسي وإبعادها عن الفتن الغاوية والأفعال الشائنة التي فاضت حولي، أذكري نفسي أنها صورة أبي وعكازة أمي و دعامتي التي تبقيني سليماً و لأنني أؤمن أنني ما حُييت إلا لغاية ولن أقحم نفسي في جناية .

انصرمت تلك الأوقات الدابرة بإملاقها الفظ ، لتتهيأ أيام أُخر تخطو بي نحو النجوم أتلقفها واحدة تلو الأخرى. أصبحت في العقد الثاني من العمر صاحب منجرة كبيرة وطالبٌ في كلية الطب مثلما كنت أرغب تماماً ، أقبع في سكن طلابي هذا لأنني هجرت البلدة منذ زمن ، فما عادت ترغبني وما أظن أنني اشتاق إليها أبداً لأن أمي وافتها منيتها قبل سنتين . لم تكن إلا لعنةُ دهر عويصة عسيرة خارجها يسير وداخلها وعرٌ مُضنٍ ، لكننا لن ننتهي.

محطّة الاتجاهات ..

أين تذهب؟ لن يكون هناك تَوَلٍّ ما لم ننهي ما بدأنا به، أحضر كوب قهوتك، فمنابتنا قد تَكَمَّلَت. فسنين الدراسة أردفت باستعجال والعمل مُقبلاً إليَّ متَوَسَّماً بفرح، وإطْرَائي المُبَجَّل لعَقِيلَتي التي نكحت وأشهدان قُربِها كُله وُدّ ووِدَاد.

والعمر البُحْتُرِيّ مهما تَأَوَّد بنا مصيره الاستقامة، فمن كان يعلم أن نبي الله يونس عليه السلام سيخرج من بطن الحوت حيًا، لكنها صرامة القدرة الإلهية التي تمدنا بصلابةٍ بعد كل سقوطٍ وتعثر وتجلب لنا تسويغات تُجددنا استكمالاً وإعدادًا للحيوات القادمة فحياة واحدة لا تكفي لنسترشد منها ونتَتَلْمَذَ.

بدت يداي تتَغَضَّن فلقد ووهن العظم وشاخ الجسد وشاب الرأس، والروح روحُ شَبِيبَةٍ والقلب أريجه تَيِّمُ. حالما أَفَاقَت أعواد أشبالي عزموا على المضي قُدماً بحثاً عن حقيقة ذاتهم، لكن من الصعب أن تردت بيسر لوحدتك بعد ما ارتحلت فروعك، فتغلق مقصورة أبنائك لأيامٍ طوال تتعهدها بين الحين والآخر، تبعد بيوت العنكبوت و وتقوم باستئصال غباء الكتب والرفوف الخشبية وهذا لن يمر دون عبور ذكرياتك معهم ورنين ضحكاتهم وصراخهم في أرجاء الغرفة وتتساءل مبهوتاً متى نشأو؟

ومتى رحلوا؟ ومتى أصبحت عتيقاً ؟ كل هذا كان مُضِيٌ مُعَجِّل يستوقفك في لحظة ما دون أن تستعد لها إما في تيقظك أو في نومك. أظن أنني على وشك الاستفاقة، فهنالك ضوءًا يتسلل إلى عيناي وأسمع صوت زوجتي تناديني يبدو أنها شعرت بعودتي ،سريعاً في ختام ما أتممت لا تنتهي من صنع نفسك، باشر وجدد نفسك كن قريباً من السماء لا تقبل الا بالعيش الكريم ولا تفسح للمعصية أن تستوطن حياتك وعش عمرك كاملا ولا تتأرجح بين ثلاثيتك استمتع بكل واحدة على حدى، لأنها إن ذهبت لن تعود ، أتمنى لكم حياة تشبه قلوبكم صفية بيضاء نقية.

بقلم الكاتبة منال أيمن أبو زينة – الأردن .

كيان إنساني

طُفولَةٌ مَزْموقَة ...

من هنا ...

حيث لا أريد أحداً سوى أُمي، صراخي المتعالِ، يُترجَمُ على أنهُ أوجاعُ طفلٍ رضيع لكنه لم يكنْ سوى تصرفٍ تخمِنُهُ أمي، أيّ ألم تسَكِنُهُ بمكافاة وضحكاتٍ وبعضٌ من لمساتها الحنونة ، لأرجع طفلها البريء المُدلل .

حينما بدأت، ورأيت نورًا يتوسد الضباب، فرحٌ شديد أينما يقعُ ناظري، لا شيء يقلقني ، لا ارتباكٌ ولا ضعف أنظر للعابرين وأتفكرُ إن كنتُ حقاً موجودٌ في ذلك العالم.

وهنا بدأتُ أمتَثِل، أضعُ بعضاً من خطواتي الصغيرة وبعضُ آثارُ بصماتي أنثرها، و أرسمُ البسمة على وجوهِ من هم حولي، فرحين على طفلهِم المشاغب الصغير، أرى انعكاسُ جسدي بأعيُنهِم وهم يوما بعدَ يوم يراقبونني أكبُر، لا شيء يحيرني بقدرِ إن كانَ الآخرون يشعرون بما أشعر، أصعبُ انشغالاتي تكمن في خلقِ الإله، أحقًا كلٌّ هذا موجود ، أم أنني فقط ألمسُ وأشعر وحدي.

كانت أدقُّ تفاصيلها وأكثرها تعقيداً هي حيرتي بما خيّرتهُ لي أمي من الألعاب، كانت أيامٌ تقفُ على نوع الحلوى، لون الحذاء، من أريد أن يلعب معي، من أصادقه اليوم وأجعلهُ في صَفّي، ومن أهاوشُه في الغد، طفولةٌ مضحكة ..

كانَتِ الطفولةُ شيئاً جميلاً ليتهُ لم ينتهي ..

ليتها تعود لأشعر بلذتها من جديد .

أعيش بضع لحظات هادئة، ذلك ما يسمى شعور البدايات، أريده بصغرِ سِنّي أيضاً ...

أكبر، ويكبرُ معي حُلُمي، تكبر آمالي وطموحاتي ، ويزدادُ شغفي.

يوماً بعدَ يوم، أكتشف مواهبي وهوايتي. أيامٌ أخرى و أدخلُ ظلّ المدرسة، ناس جُدُدْ ، أصدقاء، حياة أخرى أعيشها بحلوها ومرّها، حياةٌ أخرى أخوض بها تجارب، تزدادُ الدائرة المحيطة بي بشكلٍ جزئيّ . وما زِلت أكبر ...

أكبر عمراً وحجماً ، وصلتُ لشخص آخر أنضج و أوعى.

هابةً مِنَ الرَّدْم ..

ومن هنا ...

صراخٌ أَهدأُ بقليل، كان شتاتٌ داخِلِيّ أكثر مما هوِ ظاهِر، أفكارٌ صاخِبَة ترافقني عند عبثِ الأَشياءِ التي تقف في طريقي .

تقتُلُني كلمةُ لا .

أنصِتْ.

أهدأ.

أعقل.

لما ذلك ؟؟

اعتقدتُ أنني دائماً على حق، وكل ما أفعلُهُ صواب، لا أريد مَنْ يُرشِدُني . أُحاولُ إقناعَهُم بأني أستطيع تحمل المسؤوليةِ مهما كان الأمر، أي شيءٍ لألفتَ الأنظار، اختلف الأمر عمّا كنتُ عليهِ سابقًا، أمرٌ طبيعيّ تحتَ مسمّى " المراهقة ".

غرابةُ السلوك، تصرفاتي وعَجرفتي السيئةُ تِلك، أمّي من جديد، ذلك النورِ وسطَ الظلامِ الحالِكْ، تخرجني من انطوائيتي تلك حتى ولو لبضعِ أيام، تُحكمني وترشدني .

وما زِلتُ أكبُر ..

شعور آخر تمامًا، بعيدًا كلَّ البُعْدِ عنما كنتُ أمُرُّ به السنوات السابقة.

ما هذا؟!

إنَّها اللامبالاة تتملكني، أيّ شيء سيحصل الآن أو غدًا، فلهُ المجد،

ليَحصُلْ .

من يريدُ الرحيلَ فليُعجّل إذًا. من يريد الذهاب فليأخذ بعضاً من القليلِ أيضًا، لكن أترُكوني أنعم بذلك السَّلام، تصالحي مع ذاتي ولذتِه أريدُ أن أعيشها لحظةً بلحظة وما زلت أكبُر ..

أتفرغ لدراستي، أديرُ أعمالي، يهمني مستقبلي، وتعنيني أهدافي.

لا شيءَ يحيّرني سوى أنا وقلبي و عائلتي الصغيرة التي توشكُ على أن تكبُر و شعور باستعجالِ الأملِ ...

مزيدٌ من العمرْ، حياة جديدة، أفراد عائلةٌ جديدة، التزامات ومسؤولية بدا الأمرُ مألوفٌ جداً على ذهني، وبدأ السيناريو يعيدُ نفسه، عندما أصبح لدي أطفال، وأولادٌ في سنِّ المراهقة ...

هُنا أيضًا أمي من جديد، الآن علمتُ ما سبب الضغط الذي وقع عليّ وانا بعمرِ أولادي. أدركت تمامًا معنى التربية وهذه الطرقِ والأساليب.

كل تلكَ المشاهد تعيدُ نفسها، انطوائية، حبّ الوحدة، انتماءٌ ذاتي ولذلك؛ أراعي الشعور مهما كان الظرف.

وتستمر الحياة ..

ها أنا وصلت سنّ الرشد والحكمة، شعور النصائح أعيشه، فأنا الآن أيضًا سأمضي تاركًا خلفي أثرٌ من هذا الجيل، بصمةٌ أخرى، سيحملون إسمى في الغد وسأبقى ذكرى ترافقهم، هنا المصيرُ محتومٌ توقُّفِهِ على الشباب.

مُتَصَدِّمْ ..

خذْ من شبابِكَ لهرَمِكْ.

ومن هنا ..

حصيلةُ كلِّ تلكَ السنين، حصادُ البذرة التي تركتها أمي، حياةٌ كاملة مرّت بسلام، فئاتٌ كثيرة من الناس تهمها الدّنيا وما بها تهتم للماديات ونَسِيَت أننا نمضي، إلّا من رَحِمَ ربي، الكِبَرُ يطرأُ على جسدي، مؤشر الصحة بدأ ينقص شيئاً فَشيئا، كنت أكبرُ العمر، لكنَّها لم تتوقف على ذلك أبدًا.

وما زلت أكبر ..

وبدأ عمري النّفسيّ والمعنويّ يزداد أيضًا، على العكس من أيّامِ عمري. أبتعِدُ عن ممارسةِ أعمالي، ولم أعُد أخَطِطُ لمهامي المختلفة كسابقِ عهدي، لا أترقب الأحداث المستقبلية، ولا أنخرِطُ في النشاطات. باختصارٍ مؤلم لم نعد ننتمي للشّباب ..

أتفَكَرُ الأيام، أصفن بالحياةِ الزائِلة، أتعمق كلّ شيءٍ، لكن بصمتٍ شدييد، هؤلاءِ يلهون ويمرحون ويتّبعون ما يرضيهم ، ساهونَ عمّا سيحدث بعد تلك الدّنيا.

نحنُ الشّيوخُ نبكي على شبابنا، لماذا لا يضحك الشاب على صباه؟!

متى سيشعرُ بالنعمة التي ستزول اليوم أو غداً أو بعدَ غد .

فانيةٌ أيّها البشر، كل ذلك الشّحوب والضّجر، الشّتاتُ و الكمّ الهائلِ من الهموم زائِلة. قليلٌ من الصبرِ والإيمان ، واحتسِب يومكَ لله،

اعقل وتوكل، ستهون، ستمضي، ستزول.

أمي من جديد ..

اشتقتُ لملامحكِ وصوتك العذب، لمساتُكِ وإرشادُك.

أمّاه ..

أَتسمعين صدى صوتي يقترب إليكِ باحثاً عن دفئكِ؟

يومًا بعد يومٍ أشعر أن لقائنا اقترب. أستقبلُ شيخوخَتي، أتَقَبَلُ ضموري، افقِدُ طاقتي ، وأودّعُ حيويتي، انظُرُ لشكليَ الجديد .

تجاعيدُ وجهي وانكماشاتُ يداي، شعرٌ أبيض، صحةٌ تتدهور يومًا بعدَ الآخر.

توضأت، صليت.

أشعرُ بالتعب أريد أن أخلدَ للنوم، لا أعلم إن كنتُ سأقابلُ أمي هذهِ الليلة، و لكن أنا جاهز لِلقاءِ الله، وجاهزٌ لحياةٍ أخرى.

بقلم الكاتبة أفنان أبو سنينة – فِلسطين .

حياة العبير

عنوانُ قصتي هي عبير، ما السبب؟ لأنَّها مميزةٌ في كل مرحلةٍ تعبرُ فيها، وتخوضُ في تفاصيلها.

عندما كانتْ عبير طفلة كانت ممتلئةُ الخدود، مدللةٌ، مرفهةٌ لكونها آخر العنقود، وكان العنادُ مغروسٌ في دمها منذُ أن كانتْ في أحشاءِ أمها، فكلّما طلبت منها أمها أن تتوقفَ عن الرفس كانتْ تزيدُ من حركاتها، ولا تجعل أحدًا غيرها ينام.

وبعدما كبرت قليلًا توضحتْ ملامحها الجميلة، وظهرتْ لمعةً في عينيها مازالتْ موجودة إلى يومنا هذا، هذهِ اللمعة التي توحي ببرائتها النقية، وروحها التي كانتْ لأهلها هدية.

عندما كانتْ عبير طفلة كانتْ المغامرةُ عنوانها، فكانت تخرج حتى تعرقلَ سير السيارات، وتجلس في وسط الشارع إلى أن يتصلَ أحدهم بأمها حتى تأتي، وتأخذ ابنتها المجنونة.

والمضحكُ المبكي في قصة عبير في طفولتها أن لسانها قد قُطع أكثر من مرة، ولكن لا يتضح ذلك في طول لسانها أثناء النقاش، والصراخ، والبكاء، والعناد المستمر بلا أي هدفٍ يُذكر.

نكمل قصتنا مع عبير ..

عبير الآن كبرت، وأصبحت في مرحلة المراهقة؛ وما أدراكَ ما مرحلة المراهقة بالنسبةِ لها.

عبير الآن تقولُ لعبير الطفلة: آه لو تعلمين ما الذي أعانيهُ الآن، ليتكِ لم تكبري أبدا.

عبير أثناءَ مراهقتها كانتْ تعاني من نفسها بالأكثر، فصراعها الأكبر كانَ مع ذاتها التي بدأت تتشكل، وتنضج، وكلّ ما كانت تملكه في طفولتها تضاعف أضعاف ما تتخيل، العناد أصبح مزودجًا لدرجة أنهُ باتَ وحشًا ينافسها، وصراخها يزين أرجاء البيتَ كل يوم، ورغبتها في الخروج من البيت حتى تستقل بحياة جديدة أمست السيمفونية التي كانتْ تترنم في البيت، هي كأي مراهقة تريدُ إحداثَ تغييرٍ في حياتها، أو الأحرى في نفسها بالأكثر.

ولكن لا أنكر أن عبير في مراهقتها كانتْ تحاول أن تصقلَ شخصيتها، وتشحذها، وكانت تعلم أن ما تفعله قد يكون خارجًا عن سيطرتها بعض الشيء نظرًا لما تمرّ بهِ من ظروف، وعالم الحياة الجديدة، والمرحلة المختلفة كليًا عمّا قد مرتْ بهِ سابقًا، ولكنها مع كل هذا حافظت على طفولتها، وقلبها الكبير، والأهم من ذلك لمعة عينيها.

عبير في طفولتها لو رأت ما كان مصيرها سيؤول عليه لربما حاولت تدارك بعض المقتطفات منه، ولكن على ثقة أنها ستستمتع بكلِ لحظةٍ منه، وتحولها إلى مغامرة جديدة لن تكون كمغامرة السيارات بالطبع، ولكن ستُزين بروحِ المراهقة الممزوجة بأثر الطفولة الذي مازال يفوحُ عبقه إلى يومنا هذا .

بعدما كبرت عبير، وملأ الشيب رأسها، وغاصت بالأفكار، ولقنتها الحياة دروسًا كثيرة، قررت أن تتقن الراحة بعد دهرٍ من التعب، وتكرس حياتها لنفسها، ولكن لم تنسى يومًا متابعيها منذ أن كانت شابة يافعة، وباتت تشارك يومياتها مع أحفادها، وتتنمر عليهم بطريقةٍ حضارية، مازالت كما هي، تخافُ من التجاعيد، وتكثر من " الماسكات"، ويقتلها كثرة التفكير، وهذه المرة ليس فقط بنفسها، بل بأبنائها، وأحفادها.

أيقنت عبير أن الطبع غلاب، ولن يتزحزح منها أبدًا، فالعناد مازال يتفاقم في داخلها حتى مع أحفادها، والمصيبة أن أبناءها، وأحفادها خلفاؤها في الغضب، والاندفاع، فترى حفيدتها شيخة مثلًا تجري في الشارع بلا أي اعتبار للسيارات، ودلال تستغل خدودها، وشعرها المجعد الذي يعطيها مظهرًا طفوليًا، ولا عجب في ذلك، فإن كان جدتهم عبير، لا عتب عليهم.

هكذا عاشت عبير، ومازالت محافظة على شخصيتها، وروحها الجميلة، وترفض مناداتها بالجدة.

بقلم الكاتبة: خلود عبد الصمد أحمد.

حياةٌ مغايرة الغموض

ملائكة_البراءة

نقاءُ قلبٍ، صفاءُ روحٍ، جسدٌ لطيف أشبه بقطعة شوكولاه، وروحٌ حانية، تفاصيل تنتشل القلب الى عالم اخر، وكأنهم ملائكة بريئة خلقت من تراب الجنة، يغرق الندى في عيونهم، ضحكاتهم أشبه بإصطفاف نجوم سرمدية لتجسد مجرة رائعة، حضنهم دافئ يزيل الهموم، في هذه المرحلة كل تفاصيلهم تأسرني من تقليد للكبار أو إظهار استياءهم بسبب تغير على روتينهم كإيقاظهم مبكرًا، حتى إمساكهم بملعقة الطعام بطريقة فوضوية وحبهم لحمل المسؤولية كإرتداء ملابسهم وحدهم يخطفون القلب عندما يلفظون اسمك بطريقة عفوية خاطئة جميلون بوسامتهم العقلية حين يعرفون أمهم من رائحتها أو حتى من صوتها هذه الفئة بالذات قدرتها على التعلم والإكتساب رهيبة.

أدمغتهم أشبه بذاكرةٍ فارغة وأنت من عليه تعبئتها، اصنع طفلك جيدًا املأه بحكمة إزرع فيه زرعاً جميلاً طيباً وغداً سوف يثمر وستجني حصاد زرعك.

مرحلتهم صعبة مليئة بالتنتقض والتقلب، مزاجيون مشاعرهم النفسية منحدرة إلى الأحاسيس المرهفة، وجود أهلهم في هذه المرحلة كأصدقاء أكثر من وجودهم كأهل هو عامل مميز كونهم ملجئ وملاذ للأمان بعيدًا عن خيبات الحياة ووحشيتها التي قد يمرون بها، هم فئة جميلة مليئة بالطاقة والأمل لكن يريدون من يفهمهم بكل حالاتهم من طيش وجنون وعقلانيةٍ وثقافة.

إياكم وجعلهم عرضة للإنتقادات السلبية التي تسودُ مجتمعاتنا الحالية كهذا الجيل وهذا الجيل لا بل جيلنا اصعبُ من جيلهم جيلنا منفتح مليئ بالفتن من بقيَّ على دينه وكأنه ممسكٌ بجمرة أعانهم الله كونو معهم لا عليهم ...

خيالٌ سرمديٌ بلا حدود، حياةٌ معاكسةٌ مناقضة، كل هذا، كيف ومتى ولماذا؟

فقط فالخيال لأنه لا اعتراض على حكم الله، حاشى لله.

تبدأ حياتنا من سعفٍ مهيب ،دون البكاء على أجَلِ أحد، دون لوعةِ الفراق او حتى سكرات الموت، نعم هكذا نكون وهكذا نبدأ تفتحُ الجفون وتتراقص داخلها أشعة الشمس، على أنغام حياةٍ جديدة،تطلق الأقدام للمسير، نجلس في دور المسنين، نتلقى الرعاية والحماية والرقابة، ثم نبدأ بالتعافي شيئا فشيئا، ونصبح رِجالاً بصحتنا، نخرج من دور الرعاية إلى العمل نجتهد ونكتدح ونقاوم ونتعب ومن ثم رويداً رويداً، نبدأ بالتحول إلى عنفوان شبابنا، ثم تضج الأفراح معلنة نجاحنا دون الدراسة ومن فرحتنا لنجاحنا نذهب الى مقاعد الدراسة،ونفسُلُ، أكثر فأكثر إلى أن نعود أطفالاً صغاراً في أحضان امهاتنا ومن ثم إلى أرحامهم وانتهى، هذا شعور جميل لكن لو كان خيراً لكتبه الله لنا، ولا اعتراض على حكم الله.

بقلم الكاتبة: حنين رائد أبو شعيب .

صفحاتٌ تُطوى

ما هي الحياة ألا صفحاتٌ تُطوى و يجور عليها الزمان وتطمرها الأتربة سنين تمضي بسرعة الشهب من عمر الإنسان حتى منا من تبقى أمنية حياته مجرد فكرة تجول في خاطره يقف أمام سرعة الأيام عاجزٌ عن تحقيقها ...

يفرح الشخص منا بُمضي عام جديد من حياته ويقيم الاحتفالات ويغفل عن كونها أعوام تتبع أعوام وتنقص من رصيده في الحياة.

ألم نفكر؟!

لماذا يردد كبارنا دائماً ليتنا بقينا صغاراً؟

لم يشغل بال احدًا منا ذلك نتمنى دائمًا مُضي العمر وكأنه عدوًا لدود واعتادت ألسنتنا على شكاوى الحزن والهموم ولم نفكر لبرهةٍ بتغير الواقع فالعمر مرة ولا يعيد الكرة بإرادتنا أو حتى خارجها الأيام كالرصاصة إذا خرجت من بيت النار لا يمكن إعادتها.

لماذا لا نستمتع بكل صفحة من صفحات حياتنا قبل أن يطويها الزمن وينسج حولها العنكبوت؟ لماذا لا نستغل كل ما حولنا من طبيعة لسعادتنا؟

فما هو الهم الذي يحمله طفل صغير يقضي يومه يمرح ويلعب ويخلد الى النوم دون مقاومة من التعب.

وما هم طفل عائد من المدرسة الابتسامة لا تفارق محياه لحصوله على العلامة التامة في الإختبار ويفكر بالجائزة مقابل ذلك من والده.

فأكثر ما يبكي الطفل هو خوفه من رد فعل أمه عند رؤيته متسخ الثياب، أكبر همًا يحمله الطفل هو ملابس العيد التي ينام ويغفو وهو يحتضنها ليرتديها أول شروق شمس نهار العيد.

الطفولة أكبر نعمة غافلين عن ذكرها، فالصغير لا يحاسب على خطأ اقترفه صغيرًا كان أم كبيراً نتيجة لعدم اكتمال نمو عقله وضيق تفكيره و لصغر سنه. نحن لا نتذكر الكثير من أحداث طفولتنا الشقية إلا ما وصلنا من آبائنا ولكن أكاد أجزم أنها أجمل ما سيمر به الإنسان في حياته من مراحل، ليتها صفحة لا تُطوى ليت الحياة مثل المقطع الموثق على الهاتف نوقفه متى شئنا أينما شئنا نحذف ما يحزننا ونكرر ما يفرحنا، ولكن قانون الطبيعة لا ينظر الى أمانينا وقوانين الحياة تُطبق بعدل وعلى الجميع.

ونطوي بهذا أولى صفحات حياتنا بلهوها ولعبها وضحكاتها ونبدأ صفحة جديدة تهوى المغامرات وتفضل كل ما هو مجنون ومختلف عنوانها "المراهقة".

مرحلة صعبة تبدأ مع الإنسان من عمر الثامنة عشر إلى أن ينضج عقله وتستقر أفكاره. فتسبب تذبذب بالعواطف، وعرقلة للتفكير، وتقلبات مزاجيه كبيرة، وتكثر متطلبات المراهق وتطغى على روحه حساسية المشاعر، فيصعب على الأهل التعامل معه في هذه الفترة فهو متأرجح بين الحزن والفرح والكآبة والعدوانية أحياناً كثيرة، فالشباب في هذه الفترة ينشغلوا باستمالة الفتيات لهم، ويهرعون لتجربة كل ما هو غامض، وتنمي فيهم روح المغامرة التي إذا زادت عن حدها الطبيعي تؤذيهم بكل تأكيد، يتفاخرون بكثرة المعارف والصداقات ولا يهمهم أخلاق من يصادقون.

حتى الفتيات تبدأ منظورها للحياة يتغير، تُبدل أولوياتها من دُمى للهو إلى مستحضرات تجميل للزينة، وتعطي عقلها إجازة من التفكير لتستمع الي قلبها فقط وهذا بداية طريقها للخطأ ...

وهنا يأتي دور الآباء مراقبة ابنائهم لحمايتهم من الانحراف عن الطريق السليم، وتعزيز القيم التي باتوا يغرسوا بها في نفوسهم منذ الصغر..

وبالرغم من صعوبتها على كلا الطرفين إلا أنها صفحة تُطوى كالذي سبقه لتأتي بأخرى، وهذا قانون الطبيعة فالصغير يكبر والحزين لا بد من أن يفرح والأيام تهرول بنا إلى أن تنقلنا إلى آخر صفحات حياتنا وهي الشيخوخة..

مرحلة يبدأ فيها الإنسان بتوديع كل من يحب وإعطائهم عصير خبرته من نصائح وحكم ، مرحلة يصبح فيها الشخص أكثر حكمة وعقلانية، ويميل إلى الجلسات الهادئة العائلية ويا حبذا لو يصفن ألف عام بأطفاله وأشيائه وكأنه يحفظ ملامحها ويودعها فهو لا يرفض ذلك ، ينتابه شعور بأنه ذاهب بأي وقت، يصل عقله إلى أعلى مراحل النضج، كما يحاول أن يسخر أكبر قدر من وقته للعبادات ويحاول قدر المستطاع إقناع أبنائه بالتقرب أكثر فأكثر من الله وأن لا ينسوا الله ولا نساهم، ويوصي على الأغلب بسبيل ينذروه عن روحه لينتفع به بعد عمر طويل، وكأنه شمعه في بدايتها نورها طاغي يعم المكان وقد وصلت إلى ذروتها.

مرحلة يُقدر فيها كل التعب الذي تعبته عائلته من أجله في الصغر، ويندم فيها كل الندم على المشاكل التي أوقع والديه بها في المراهقة ومنهم من يطلب العفو والسماح ايضاً...

هذه هي مسيرة كل إنسان يخطو على البسيطة مهما كان يعلو شأنه أو صغر فكلنا من التراب وإليه ومصيرنا واحد وخالقنا واحد... نعم نختلف في تفاصيل مسيرتنا ولكن النهايات واحدة.

بقلم الكاتبة: صفاء مفلح عبدالله المشارفة – الأردن .

ها نحنُ

جَميعنا مر بهذه المراحل لكنّها ليست ذات الظروف ..

في الطفولة قد نُعاني من صُعوبة المشي، الزحف، أو الوقوف، وفي هذه المراحل سَتكرر منا في تعداد خطوات حياتنا، فَأَنتْ وَأَنت طِفل سَتُحاول الوقوف للمشي وفي هذه المحاولات سقطت كثيرًا، وسترجع لك ذاكرتك هذه المحاولات في كل مرحلةً ستمر بها. فالطفولة غرزت بنا هذه التفاصيل كي نستشعر بها دومًا، وتؤكد لنا استمرارية الخفقان، والمحاولة أيضًا.

وعندما نكبر ونتحرر من الطفولة، تأتي مرحلة تتلخبط بها جَميعَ المشاعر، والأفكار، حتى منطقية التّفكير، ففي مراهقتنا ننقسم: فمنّا مَن يستاء نفسيًا ومنّا مَن يتعرض لحالات جسدية، وتضاربات عصبيه، وقد تأوي بك لأمراض نفسية، فانت الآن في مرحلة مُرهقة وعصيبة جداً، وبالجهة الآخر كان لابدّ من وجود بعض آخر منا من يتعلم يَأخذ فتر تطوير ذات، والاعتماد على النفس. إذن نحن من نقرر مسيرة حياتنا واتجاهها، وبأي مفرق طرق نود السير، من يريد تحدي ظروفه يستطيع.

إنّ المرحلة الشبابية هي أكثرُ مرحلةً محببة لقلبي، لِأني كُلَما أتذكر عثراتِ الماضية أشعر بالنضج أكثر فأكثر، رغم صعوبتها إلَّا أنّني حاولت ومازلت أرمم طريقي لما اسعى إليه. سأسأل هل خسرتي؟ أجل خسرت، لَكنّني ما زلت احاول السعي والمضي في هذا الطريق، وسأحاول التعرف على اناس جدد، أتعلم منهم، وأعلمهم.

أمّا عن مرحلة بياض شعري، بها اختلفت نظراتي إلى أهلي، وأولادي، وأحفادي، اتذكر صغر سني، وأحداث أحلام الطفولة الوردية، مع هذا نصب عيني أرى الاحداث المتسلسلة المتكررة تُعاد. ايقنت أنّ الحياة تنمح وتسلب، تفرح وتحزن، لكل شي ثمن، وثمن شيبي جميل جدًا لأنّني تعلمت والآن أعلم، وأعطي العبر والموعظة.

إنّ مراحل الحياة جميلة، بكل طرقها الشاقة والمريحة، باتجاهات طرقها المختلفة.

لا بُدّ أنْ نعي في البداية لا شيء باقي، وأن أجيال المستقبل ستعيد وتكرر مسيرتنا، وسنربت على أكتافهم بما تحملناه وفهمناه.

ومع ذلك الحياة بمراحلها مربّية، معلّمة، مستفاد منها.

بقلم الكاتبة شمد خالد سعيفان – الأردن .

باقي فتات عمري

أَنْظُرُ حَوْلِي وَأَمْعَنُ النَّظَرَ أَطْفَالٌ يَلْعَبُونَ فِي كُلِّ مَكَانٍ فِي أَحْضَانِ وَالِدَتِهِمْ قَرِيبُونَ مِنْ وَالِدِهِمْ إِلَّا أَنَا مُحَرَّمٌ عَلَى اللَّعِبِ مَعَهُمْ لِمَاذَا؟!

هَلْ كُلُّ هَذَا فَقَطْ لِأَنِّي خَلَقْتُ فَتَاهُ فِي وَسَطِ عَائِلِهِ يُفَضِّلُونَ الرِّجَالَ

يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْفَتَاةَ لَا مَكَانَ لَهَا وَلَا رَأْيَ حَتَّى، قَضَيْتُ طُفُولَتِي الْبَائِسَةَ فِي غُرْفَةٍ بَارِدَةٍ، كُنْتُ عِنْدَمَا أَنْظُرُ إِلَى أُمٍّ تُدَاعِبُ أَطْفَالَهَا أَشْعُرُ بِحَرْقِهِ قَلْبٌ بِوَجَعٍ يَغْلِي دَاخِلَ قَفَصِي الصَّدْرِيِّ وَكَأَنِّي أُرِيدُ تَحْطِيمَ كُلِّ مَا هُوَ مَوْجُودٌ أَمَامِي كَمَا يَتَحَطَّمُ قَلْبِي؛

لَقَدْ مَضَى مِنْ عُمْرِي سِتَّةٌ وَعِشْرُونَ عاماً ، كَان مليئاً بتغيرات كَثِيرَةٍ مِنْ طُفُولَة قَاصِيَة إِلَى مُرَاهِقَةٌ مملة لِلْوُصُولِ إِلَى امْرَأَةٍ قَوِيَّةٌ، سِتَّةٌ وَعِشْرُونَ عاماً وَإِنَّا لَمْ أعُدْ أَنَا سِتَّةٌ وَعِشْرُونَ عاماً كَانَت كَفِيلِه بِأَن تَصْنَع مَنِيّ امْرَأَةٍ عُمْرِهَا سَبْعُون عامًا، سِتَّةٌ وَعِشْرُونَ عاماً عُدَّت أَمَامَ عَيْنِي كَأَنَّهَا سَاعَات تُعَدُّ عَلَى الْأَصَابِعِ ، سَبْعَةَ عَشَرَ عاماً مِنْهَا وَأَنَا أُمْسِكُ قَلَمِي وأشعله كَسِيجَارَة مَلِيئَة بتبغ الْكَلِمَات، وأبعثر شَتَاتٌ الدُّخَان بِكَلِمَات عَلَى صَدْرِ الْوَرَقَةِ حَتَّى تَعِبَتْ مِنِّي وَأَصْبَح لَوْنُهَا رماديّ، سِتَّةٌ وَعِشْرُونَ عاماً مَضَت

بِأَلَم . . . بِحُبّ . . . بِفِرَاق . . . وحَنين . . . بخوف

وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ أَفْشَل بِهَا وَارْجِع لنقطة الْبِدَايَة أُحَاوِل وَارْجِع مِنْ جَدِيدٍ حَتَّى وَصَلَتْ لِمَا أَنَا عَلَيْهِ الْآنَ، سِتَّةٌ وَعِشْرُونَ عاماً وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْمَرْأَةِ وَأَقُولُ لَهَا اصْبِرِي أَنَّ فَرْجَ اللهُ قَرِيبٌ، سِتَّةٌ وَعِشْرُونَ عاماً لَا يُمْكِنُنِي أختصارها وَلَا تَحْلِيلُهَا بِكَلِمَات وَأَحْرُف لِأَنّ عِشْت كُلِّ لَحْظَةٍ بِهَا بِكُلِّ قُوَّة.

سَأَفْعَل أَيِّ شَيْءٍ كَيْ لَا أَكُونُ امْرَأَة مهزومه ، هَذَا مَا سَأَمُوت لِأَجْلِ أَنْ لَا يَحْدُثُ أَنَا دائماً قَوِيَّةٌ .

عُمْرِي الْآنَ سَبْعُونَ عَامًا مَضَيْتُ بَاقِيَ عُمْرِي وَكُلِّي أَمَلٌ يَصْلُحُ حَالِي مِنْ رَبِّ الْعِبَادِ وَلَكِنْ مَاذَا أَفْعَلُ الْحَمْدُ لِلَّهِ لَقَدْ رَزَقَنِي اللَّهُ ثَلَاثَةَ أَطْفَالٍ قَضَيْتُ بَاقِيَ حَيَاتِي وَأَنَا أُعَوِّضُ لَهُمُ الْحَنَانَ وَالْعَطْفَ الَّذِي كَانَ دَائِمًا يَنْقُصُنِي كُنْتُ أُحَاوِلُ دَائِمًا أَنْ أَكُونَ أَمَّ صَالِحَهُ أُدِيرُ أَطْفَالِي وَالْحَمْدُ اللَّهُ بِأَنِّي نَجَحْتُ فِي ذَلِكَ كُلَّ الَّذِي أُرِيدُهُ الْآنَ عِنْدَمَا أَمُوتُ يَقُولُونَ عَنِّي كَانَتْ لَطِيفُهِ خَفِيفَةً لَا تُؤْذِي أَحَدٌ.

بقلم الكاتبة غصون ياسم – الأردن.

ومضات حياة

ارتداد صوت ضحكاتي، خطواتي الأولى وهيجان بكائي، ضجةُ غرفتي، بعثرةُ ألعابي، صرخةُ وقوعي، نومي المتأخر ونهوضي المبكر، وبعثرةُ كلماتي، اهتمامي بدميتي واللهو بحديقتي، تفاصيلٌ عشتها كطفلٍ وحيد،

حظيتُ باهتمامٍ كبير واعتناءٍ كثير وضحكٍ مثير وبكاءٍ مرير، أنتظرُ نهوضَ أمي من نومها المرهق وأنتظرُ عودةَ أبي على طرقاتِ المنزل، لا يسعني انتظار أبي، فأقومُ بإعدادِ له رسمةً فنية من شوقي وألصقها باكرًا على بابِ المنزل، وأقعُ غالبًا وأنا ألصقها، ولكنني أسعدُ بردةِ فعلهِ المؤثرة تلك، لعلهُ كانَ ممثلًا ماهرًا، أعتدتُ دومًا بمناداتهِ صديقي، أشابهُ أبي بملامحه وأشابهُ أمي بطبعها وتصرفاتها، لم أحظَ بشقيق، ولكنني لم أشعر بالوحدةِ بتاتًا، بل كنتُ ممتنًا لوالدي؛ لتشجيعي للعزف، فهم أول من اعجبوا بموهبتي تلك.
استعددتُ لاخطو خطواتي الأولى على المسرح، والعزف أمامَ أعدادٍ كبيرةٍ من الناس وأنا في عمرٍ صغير، ولكنني اجتزتُ كلَّ هذا أمام تشجيعِ والدي وقبلاتِ أمي، فتحكمتُ برهبةِ المسرح تلك، وخطوتُ خطواتِ الثقة والحب والحماس للفوزِ أيضًا، لربما كانت من أبرزِ التحديات القوية بالنسبةِ لطفلٍ لم يجتاز عمر العشر أعوام، أنهيتُ العزف وغدوتُ واثقًا، سعيدًا بما قدمتهُ، صفقوا لي بقوةٍ، وحُركت بها مشاعر السعادة والفخر بداخلي، لربما حققتُ ما كان بودي أن أفعله، وتمَّ تلقيبي بأصغر عازف بيانو في عمرٍ صغير، تولَّدَ لدي حب التقدم والنجاح، لربما استطعت بالمشاركةِ بالعديدِ من المسابقات، والفوز أيضًا بمراتبَ مختلفة، لقبتُ بأصغر وأفضل طفل عازف بيانو في مدينتي.

أردتُ الحصول على لقبِ أفضل عازفٍ للبيانو في الشرقِ الأوسط أيضًا، ولكن لم يحالفني الحظ، ليس لقلة مهارتي، بل كان مرضي عائقًا مرهقًا، وها أنا أصارعُ مرضي ذاك، لأشارك وأتحدى جميع الصعاب.

كبرتُ، ونضجت، وأصبحتُ في عمرٍ مسؤولٍ بهِ عن نفسي، وأتحملُ أخطاء قراراتي، جاهدتُ وحاربتُ مرضي ذاك، وبقوة إرادتي استطعتُ التغلبَ عليه، بنيتُ نفسي من جديد، لاستعداد شغف المحاولة، ولإرجاعِ موهبتي تلك، عدتُ بقوةٍ وثقة إلى موهبتي، شاركتُ في مسابقةٍ من غير سابقِ إنذار وفشلتُ بها، لربما أضعتُ موهبتي ولم أعد أستطع التحكم بمفاتيحَ البيانو، فقدتُ السيطرة بها، لربما عدتُ لنقطة الصفر من جديد، أهملتُ البيانو سنينًا عديدة، فهو الذي كان مسببًا بهِ مرضي ذاك، واستطاع تدمير حماسي وتقدمي، ييئستُ ولم أستطع التغلب على فشلي، وغضبي ذاك جعلني أفقدُ صوابي، مما جعلني أشربُ السجائِر المضرة بي، لربما لم أعتقد أنني سأقوم بتدميرِ صحتي من جديد، بدأ تنفسي يضعف، ويرهق أحبالي الصوتية، ورئتي منهكتين، أكملتُ شربَ السجائِر لفترةِ اليأسِ تلك، وجد والدي السجائِر مبعثرةً أمامَ منزلنا، ورائحتي تلك كانت دليلًا على ذلك، احتجزني في غرفتي وسلبَ مني هاتفي، وحاسوبي والتلفاز أيضًا، لربما اكتئبت لعدمِ وجود ما يخفف لدي حزني ألا وهو السجائِر، لم أستطع القيام بشيء، سوى العزف، حاولتُ مرارًا وتكرارًا، ولكن فشلت، وكان لدي إصرارٌ كبير، على أن المرضَ ذاك لم يستطع توقفي، فبذلتُ قصارى جهدي في العزف، في حينِ أنني لم أستطع النوم منتظرًا رؤية فتاتي من شرفةِ غرفتي وأسرحُ بعينيها الزرقاويتين، وشعرها المنسدل، بينما رؤيتها جعلت مني أفضل حالًا، وأبقى مستيقظًا طوال الليل، إلى أن تزعجَ أشعة الشمس عينيَّ، فأذهبُ للاستلقاء، وفي دخولِ أحدٍ من عائلتي في الصباح، دائمًا ما يجدني نائمًا.

نعم، لا يمكنني النظرُ إليهما بعد ما قمتُ بفعلهِ من ذنب، استطعتُ تجاوز اكتئابي والتخلص من عادتي، واسترجاع موهبتي وتنظيم أوقات نومي ومساندة عائلتي أيضًا، لم استسلم، عاودتُ المشاركة من جديد لأحصل على المرتبةِ الثالثة، لم يمنعني ذلك من التدريبِ والمحاولة، فكنتُ على إصرارٍ لتحقيقِ حلم طفولتي والحصول على لقبِ أفضل عازف بيانو في الشرقِ الأوسط، تعلمتُ وصبرت وجاهدت وطورتُ من ذاتي، وتفرغتُ لدراستي في الجامعة من جديد، لم أهمل موهبتي، بل كنتُ على مساواةٍ بينها وبين دراستي وكنتُ أسعد بتقدمي دومًا، واجتزتُ سنتي الرابعة تلك، وأنهيتُ دراستي في الفنونِ والموسيقى، وبدأتُ من جديد بعد التدريبِ والدراسة للمشاركةِ في أكبرِ مسابقة، واستطعتُ الفوز والتغلب على جميع ظروفي، وحصلتُ على أفضلِ عازف بيانو في الشرقِ الأوسط، لم أستطع التعبير عن ما أشعر به بعد تعب ومحاولاتٍ عديدة، وإصرار محاولتي وعزيمتي القوية، حققتُ مرادي منذ الطفولة ومما يجعلني أشعر بفخرٍ وثقة بنفسي، استعدتُ ذاتي ونفسي من جديد، وبقيتُ أردد هذه الكلمات التي كانت عالقةً في خاطري:

(أفشل، أرهق، أتعب، ولكنكَ ستنجح وسيأتي الفرح ويعم قلبك).

تغدو السنينَ بسرعةٍ، ويبدأ عداد العمر يشارفُ على الانتهاء، هرِمتُ وكبرت، لم أعد أستطع حتى العزف أيضًا، ذلك الهرم صعبٌ للغاية، ولكنَّي سعيد، سعيدٌ بما قدمتهُ لي الحياة من أشخاص، لربما رُزِقت بزوجةٍ وأبناء يحبونني، رُزِقت بحياةٍ جميلة أخرى، بدأتُ بتكملةِ مسيرة العزف لابنائي، وجعلتُ العزفَ جزءًا من روتينهم اليومي، لربما استطاعوا حب العزف أكثر مما أحببته أنا، ألم أقل لكم أنَّ حبَ العزفِ شيءٌ جميل؟ والعزف أيضًا عالمًا آخر تستطيعُ به اجتياز جميع ما يؤلمك، وتبدأ بعزفِ ألحانٍ تُعبر لكَ عن ألمك.

لم أتمكن من التخلص من الأمراض بل كانت تلاحقني في جميع مسيرة حياتي، ولكنني أعلمُ أنني أقوى منهُ ويمكنني تجاوزُ تلك الأمراض، وإثباتُ ما هو عكس ذلك، بأنهُ يمكننا ونستطيع فعل ما نحب من غير عوائق الأمراض تلك، وها أنا قد افتتحتُ مسرحًا خاصًا لعزفِ البيانو، ولتعليم الأطفال ما دون سن الثامنة عشر، لإثباتِ مدى قوتهم وقدرتهم على اجتيازِ جميع العوائق بالعزف دون إرهاق، فبالرغم من ضعف يداي وتعبُ قدامي، والتقطُ أنفاسي بصعوبة، إلا وأنني أحببتُ عملي وموهبتي وأبنائي وحب شبابي، وعشقي لزوجتي، الهرم أيضًا ليس سيئًا، بقدر ما نحن نجعله عائقًا لفعلِ ما نحب، سأعزفُ وسأبقى أعزف لحينِ أن يأخذَ الله روحي، فأنني أحبُ الله وأنتظرُ لقياه.

بقلم الكاتبة تقى الخوالدة – الأردن .

احتمار عُمر غيمة

نعومة قلب، وبداية لمسات الأقدام على الارض، وأول هوى للألوان والمبهجات: غزل البنات والسّكاكر الملونة هنا تبدأ الحياة عند كل غيمة زرقاء مشعة، عشق الفرح والبسمات القلبية وفرحة الراعيين بما قدموا هدية لدنياهم والتقاط كل لحظة بأعينهم المتلألئة بالحب، ليكتسب كل منا صفات، ويملأ كوب تعايش متنوع، والممارسة المتطلبة من أرقام روزنامتنا المحدودة من خالقنا، هذه مرحلة الألوان الوردية، المكتظة بشعور الفرح، والعقول الفارغة من كل سوء وهم وشر، ومع ذلك هذا البالون الوردي لم ولن يبقى صغيرًا، سيكبر ويحمل في جعبته الحزن والهم، لن يبقى باللهو بل سيصبح الوهن سكينه، الطمئنينة الشكلية ستتحول لقلق على المستقبل، بدأت تلك الغيمة تتماشى على أقدامها وتكتشف معالم ومبادئ سمائها الشاذة إلى زرقتها، بل كانت مليئة بالألوان القاتمة والفاتحة، هُنا الغيمة بدأت بالبكاء عند أول توبيخ كان بحقها، هُنا بداية تبلل للوسادة؛ بسبب ضياع لعبة ما، أو رباط شعر، أو الحذاء المفضل، أو الإجبار على اقتصاص قضمة من ضفائر ذهبية مدللة على الأكتاف كأغصان الياسمين العبق. وكلّما اكتسبت عمرًا وطولًا وعمقًا للعينين الساحرتين كلما لقبوها والديها بإنكِ نضجتي يا تفاحتنا.

الآن الغيمة نضجت لحد ما عليها افتتاح مقلها حاملة على أكتافها حقيبة لا تعلم محتواها والذهاب متمسكة بكف سندها القوي مؤمنة به إلى المجهول وها قد وصلت ورأت باب قلعة ضخم وتسآلت:

هل أبي سيجعلني أميرة القلعة؟ أم أنّه من عائلة ملكية وسيحكم القلعة ويريد إخباري بذلك؟ كم أنّني متحمسة، الغيمة شعرت عند دخولها المكان المكتظ بالأولاد والعمالقة بالرهبة، ودعت الله عدم تركها طويلًا في هذه القلعة المرعبة لا الزاهية وهي تسمع أحرف متناثرة غير مفهومة بين سيد قلبها والمرأة القبيحة ذات نضارة لتزيد منها قباحة، وبعدها بدءت أقدامها تتثاقل متماشية ليفلت يدها التي هي مؤمنة به بعد آله الكون لتكون واحدة منهم.

ها هي الغيمة لم تعد تذعر من مدرستها، وبدء جسدها وعقلها بإثارة الانتفاضة العمرية واكتساب طول يافع، وجمالًا أخاذ، ومعالم انثوية فاتنة. بدءت غريزة أنوثتها تتملكها، وهاهي تلتفت للثياب والمبرجات،

من: أحمر شفاه، وطلاء الأظافر، وتصفيفات الشعر المختلفة والمثير للإهتمام.

وتمّ استبدال اسمها بالمراهقة، الطائشة، وذات الوعي المحدود، وهي لا تكترث سوى لنّظر للجنس الآخر؛ ليكون واحد منهم عشيقًا لها.

تجسدت أمانيها في كل ليلة عند وضع رأسها على الوسادة، بيتًا مؤنسًا دافئًا، وشابًا وسيمًا ورومنسيًا، وأولادًا يحملون خدود حمراء لطيفة. دومًا حين انتهائها من واجباتها المدرسية المليئة بالجهد تغمض مقلتها البنية المليئة بشهد العسل الملكي، وترى لحظة نجاحها وانتقالها إلى مرحلة دراسية واحدة تلو الأخرى، وترى فخر والديها بعدما أفلتوا إيديهما لتقوى على الحياة وتستطيع السير لوحدها دون أن تميل قدمها أو ينحني ظهرها، إنّها بعين نفسها صامدة على أشواك أرضها.

أمّا الآن أعلنت الحرب على ساحة الحياة لتكافح قدرها، ستحارب،وتنجح، وتكافح، وتناضل ليكون أسمها مجدًا لأولادها .

العمر يُسرع بنا في غِرة زمنية لا تحسب، ليرتطم بنهايته بجدارٍ، ويأتي الأجل وتعلن الحياة نهايتها.

كانت حياة الغيمة مسرعة كالشّهاق. هاهي في ذاك الوقت ممسكةً بيد أباها ذاهبة للقلعة وهي طفلة سبع سنوات سنوات، والآن تتمايل راكضةً لتأخذ شهادة الثانوية، متباهية بجمالها الذي ينشر السّلام في البلاد وذكائها الذي يعادل كل من في الأرجاء.

وبسرع البرق خلعت عباءة تخرجها لتتكلل بثوبها الأبيض، وتمسك بعنق وسيمها المعشوق وتزرع قبلتها على وجهه، وتنجب ولدًا كما كانت تحلم.

هي الآن من درست، وعملت، وكافحت، وحان أوان التلذذ بالمحصول الذي حصد. نرى غيمتنا العجوز جالسة تحارب اليأس بوجوه نجومها، قد أصبحوا أجرام سماوية يحتضنوها بمشيبها بكل حب وود. كلما شعرت بالضعف تأخذ يد حب عمرها الفائت وتقول مدني بالقوة ياشريك عمري الذي مضى وأنا أنظر بعينيك، ومن ثُمَ تذهب إلى عملها المستقل متباهيو بما قدمت لهذا المجتمع، فالحياة ماضية بحزنها قبل فرحها، بيأسها قبل أملها، بخذلانها وبثقل أيامها مع بضع فوارق، فإمّا أن تمضي سدًا، وإمّا أن تمضي مغروس بها بصماتك المتنوعة، بكل مراحل وعداد أيامك.

ولكي ننجح في بصماتنا علينا المواجهة، والتحدي وعم الخوف من الحياة، إننا نحن وأعمالنا وصدقنا لله وإن إليه سنعود بكل فعل فعلناه.

تسنيم أيمن خليل – سوريا

ثمن الحياة حياة.

كانَ والِداي كَأَيِّ زَوجَينِ يَحلُمّانِ بِطِفلٍ يُؤنِسُ وحدَتِهِم، عانَتْ أُمي حتى أَنجَبَتني إلى هذهِ الدُّنيا لكِنَّها لَم تُشعِرني بِهذا أَبداً،وَ كُنتُ أَعيشُ طُفولَةً سَعيدَةً شَيِّقَةً وشَقِية، يَتَمنَّاها جَميعُ الأَطفالِ، أَلعَبُ وأَلهُو في كُلِ مَكان، وَأكُلَ كُلَ ما أَشتَهي وَأُثيرَ الشَّغَبَ أينما أَذهب، وَكَثيراً ما أَفتَعِلُ المشاكِل، وَيَتِمَ إستِدعاءَ أَبي لكنَهُ مُتَفَهِّمٌ جداً بِأن طفلاً مثلي قَد يَقعُ في الأَخطاءِ كثيراً،لَم أَلحَظَ نَفسي وَ أنا أَكبُرُ شَيئًا فَشيء، مِثلَ أَيِّ طِفلٍ تَتَوفَّرُ لهُ كُلَ وَسائِلَ الرَّاحةِ والطُّمأنينَةِ، لِمَ أُتعِبُ نَفسي بِالتَّفكيرِ وَالتَّخطيطِ لِلمستَقبلِ في حينِ أَنَّهُ قَبلَ أَن يَخطُرَ في بالي أَجدهُ عِندي؟!

أَرى رِفاقي يُثابِرون وَ يَدرُسونَ بِجِدٍ لِيكونوا أَشخاصٌ ناجحون على عَكسي تَماماً فَكُنتُ مُهمِلاً في دِراسَتي إلى أَبعَدِ الْحُدودوَ أَكرَهُ الدِّراسَةُ وَ المَدرَسَةُ

وَ المُطالَعةُ وَ الأَبحاثُ العِلمِيَّةُ، بِالإِضافَةِ إلى أَنَني وَحِيدُ والِداي المُدَلَّلَ فَلَطالَما اعتَقَدتُ أَني مِثالِي حتى مَرَتُ بِمَرحَلَةٍ صَعبَةٍ في حَياتي مَرحَلة أَثبَتَت لي أَنني أَحتاجَ الكَثيرِ لأُصبِحَ مثالي، الفَترَةُ انفَطَرَ بِها قَلبي وَيأست، لكن هُنا كانتِ المُفاجَئة في مَرحَلَةِ شَبابي.

حالَما وَصلتُ الى الشَّبابِ من المفترضِ أن أكون شاباً بالِغاً، رشيداً، عاقلاً، مسؤولاً عن تصرفاتي وقراراتي، وعلى خلاف ذلك كنتُ شاباً طائشاً لازلتُ آخذ مصروفي من والدي، أذهب الى الجامعة بِسيارةٍ من آخر طِراز، آكل في مطاعمٍ فاخِرة، لا أَحضر جميع مُحاضراتي، أَخرج مع الفتيان والفتيات، أرافق جميع الفتيات، في نهاية المطاف أُعطي المدرس مالاً فَيضعَ لي علامةَ ناجِح الى أن تَخرَجتُ من الجامعة وأنا لا أفقه من المنهاجِ شيء

فقط لأنني طفل أبواي المدلل ،كانت تريدني سيد نفسي، رجلاً مستقلاً عن والديه، له دخله الخاص. رفضها القطعِيّ لي جعلني أُعيد التفكير في أولوياتي وأُراجع حساباتي .

حتى ارتأيتُ أنني لَم أكن ذو نظرةً ثاقِبة حادة، لَم أرى الحياة سوى من جانبٍ واحدٍ: التسلية، المتعة وإضاعة وقتي في التفاهات .

وابتداءً من اليوم التالي استيقظت باكراً، ذهبتُ الى العملِ مع والدي وبالطبع لم ينجح في إخفاء علامات الإندهاش عن وجهه فتوقع من أن أحزن على رفضها لي ولك عكس ذلك ما بَدَرَ مني، لن أنكر أنه كان يوماً شاقاً ومتعباً ومرهقاً جداً، إلا أن كلماتها رَنَت في أُذناي وهي ترفضني أمام الجميع، فقد كنت كما العاشق الولهان ،متيم بِحبِّها أعمل جاهداً لأكون كما عي ترديني أكون، وبعد عناء طويل وعمل مرهق تقدمت لها مرة أخرى آملاً بقبولها هذه المرة حتى فاجئتتي بإرتباطها بشخص آخر وهذا هو السبب الرئيس لرفضها لي بالبداية . هل عُدت يأساً مكسور الخاطر؟!

نعم، كنت في أسوء حالاتي فقررت أن أعيش لنفسي كما كنت في سابق عَهدي وتقدمت بطلب إستقالة من العمل ووافقت عليها الهيئة الإدارية وواصلت العيش في منزلي كشابٍ أحمق عديم الحيلة والمسؤولية، أعيش بمفردي أنفق من مالي المدخر وأنا على علم بأنه سينفذ يوماً ما ولكني لم آبه للأمر ولم أهتم للعواقب لأني كنت مدركاً حق الإدراك بأن حتفي قادم لا محالة.

حتى أتى اليوم المنتظر يوم إفلاسي فقررت بيع بعض ممتلاكتي التي سجلها والدي بأسمي قبل أن يتخلى عني .

هل تخلى عنك حقاً؟ نعم تخلى عني الى أن أعود لرشدي، بقيت أبيع أملاكي وأهدر مالي حتى أفلست ولم يعد لدي سوى منزلي، وهنا جلست قليلا لأفكر قطبت حاجباي أفكر في حياتي إنها أصبحت كئيبة ومملة، ولكني اسمتريت بما كنت أفعل، وفي يوم من أيام أيلول:

كانت الريح تعصف، وأوراق الشجر مصفرة. أحدهم طرق بابي!

الباب يَدق!

من هذا الصيف الذي يأتي بلا ميعاد ؟! ذهبت وفتحت الباب ولم اجد احداً وفي أثناء إغلاقي الباب رأيت وجدت باقة من الورد ودخلت الى المنزل لأجد برقية بداخل الباقة فتحتها وكان مكتوب بها:

"إهداء الى حب حياتي الذي كنت خرقاء حين رفضته"

فنتابني الفضول وتذكرت تلك التي أحبها فنظرت الي خلف البرقية ووجدت رقما فأخذت هاتفي واتصلت به:

_ مرحبا.

_ أهلا،من معي.

_ أردت أن اسأل لمن هذا الرقم وصلتني برقية مسجلاً عليها هذا الرقم من الخلف .

_نعم، هل أستطيع مقابلتك ظهر غد.

_ نعم، لكن أين ؟!

_عند بوابة جامعتك التي درست بها.

_ حسنا الى اللقاء إذا.

_الى اللقاء.

وفي صباح اليوم التالي جهزت نفسي ورتديت أجمل ما عندي وخرجت جلست أمام البوابة أنتظر تأخرت قليلاً فسئمت الانتظار وكنت على وشك الذهاب حتى جاءت تِلكَ الفتاةُ ذاتَ العينانِ الزرقاوان، والشَعرُ الأسودُ الداكِن المُنسدل خلفها، ووجنتاها الورديتانِ، إضافةً إلى إحمرارِ شفتاها، حتى تفاجئت بأنها هي من أحببتها وتقدمت لها حين عانقتها شعرت وكأن الحياة عادت إلي وما إن مسكت بيدها حتى شعرت أن هما كبيراً انزاح عن قلبي، وأخبرتتي بأنها تريد الزواج بي وكانت مخطئة في خيارها الأول وتريد أن تفعل شيئاً صحيحاً وهذا الشيء هو الزواج بي وقررت أن أعطيها فرصة أخرى، وكنت أسعد إنسان بالوجود عدت أعمل وعدت لوالدي تزوجنا وأنجبنا أطفالا كالعسل وزوجنا أبنائنا وأصبح لدينا أحفاد، توفيت زوجي الحنون العطوف فلذة كبدي وروح بيتي ومأمني وملجأي، لم أحتمل تلك الصدمة وأصبت بجلطة طفيفة ونجوت منها وها أنا من سريري من المشفى أكتب لكم قصتي آملاً أن تصعد روحي اليها، أبكي ودموعي كالمطر، أتألم وألمي كأن سكاكين تغرز في ظهري، ها أنا أعاني هنا الى أن يتوفاني الله وألحق بها لأكون مرتاحاً وسعيداً من جديد.

أتعب وأسهر وحقق ما تتمناه، ثابر وأنجح، اصبر ونل، لا تستلم فحتما الفرح آتٍ، خذ ما تشاء من الحياة وإرحل بسلام .

بقلم الكاتبة: شادن مؤيد الجيتاوي – الأردن.